مقاربة حجاجية وبلاغية في الخطاب السياسي الأموي

خطبة الحجّاج بن يوسف الثقفي –أنموذجا-

علاء الدين بوغازي [1]*

[1] جامعة باجي مختار عنابة ، alaeddine.boughazi@univ-annaba.dz

مخبر الشعريات وتحليل الخطاب.

إشراف: فتيحة سريدي.

[2] جامعة باجي مختار عنابة ، fatihaseridi585@yahoo.com

الإرسال: 2026/06/11 القبول: 2026/08/05 النشر: 2026/09/15.

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية للوقوف على مدى تمظهرات الحجاج في الخطاب السياسي الأَموي ، نظرًا لأهميته في ميدان الدراسات الأدبية القديمة ، كون الخطابة قديمة النشأة وأخذت في الازدهار عبر التاريخ وشَغلت كثيرا من الميادين التي تُعنى بالتأثير والإقناع ، إضافة إلى أنها ترتبط أساسًا بالغاية الموحدة التي يسعى الخطيبُ لإبرازها وتناولها ، وكذا لغته الجادة والفعلية ، فقد اقترن فن الخطابة بالحجاج ، كما ارتكز الخطاب السياسي على جملة من الآليات الحجاجية الإقناعية تمكّن المخاطب من بلوغ مقصده وغاياته التي تبدأ من الخطاب إلى تحقيق الغاية منه ، وهي استمالة الجمهور والتأثير في عواطفهم وأفكارهم.

كلمات مفتاحية: الحجاج ، الخطاب السياسي ، الآليات ، التداولية ، الإقناع ، تحليل الخطاب.

* **المؤلف المرسل.**

An Argumentative and Rhetorical Approach to Umayyad Political Discourse : The Oration of Al-Hajjaj ibn Yusuf al-Thaqafi as a Case Study.

Abstract: This research paper aims to explore the manifestations of argumentation in Umayyad political discourse, due to its significance in the field of ancient literary studies. Since rhetoric has ancient origins and has flourished throughout history, it is a domain that focuses on influence and persuasion. Additionally, it is fundamentally linked to the unified objective that the speaker seeks to highlight and address, as well as to their serious and effective language. The art of rhetoric is closely associated with argumentation, and political discourse relies on a set of persuasive argumentative mechanisms that enable the speaker to achieve their objectives and aims, which range from delivering the speech to accomplishing its ultimate goal : swaying the audience and influencing their emotions and thoughts.

Keywords : Argumentation, political discourse, mechanisms, pragmatics, persuasion, Discourse analysis.

1- مقدّمة

تعدُّ الخطابة من أبرز الأجناس الأدبية النثرية التي عَرفت انتشارًا واسعًا عند العرب منذ القدم ، وقد استعملت كفن إقناعي في ميادين مختلفة ، من بينها السلطة والدين والسياسة ، كما لعبت دورًا مركزيًا في توجيه الشعوب والتأثير فيهم واستمالتهم ، وبهذا حظيت بعناية كبيرة في الدرس العربي ، فكانت أداة في يد السلطة عبر العصور من شأنها تغيير مجريات الأحداث فمكانتها تضاهي السيف ببلاغة القول والكلمة.

عرفت الخطابة في العصر الأموي نقلة نوعية على عديد المجالات وقد كانت سمة بارزة لدى الخلفاء ، وكانت أوسع مجالا من ميدان الشعر ، حيث عرفّ هذا النوع النثري تنوعا وثراءً وهذا لتعدد الأسباب التي قامت على إثره منها السياسية والدينية والاجتماعية ، فقد كان الخطيب أعلى قيمة من الشاعر وهذا لعديد الأسباب يقول (شوقي ضيف) في هذا الصدد: «منها أنّ الخطابة كانت من لوازم ساستهم الذين يتكلمون باسمهم في المواسم والمحافل العظام ، ومن أجل ذلك كانت تقترن بها الحكمة والشرف والرياسة»[1] ؛ فمن خلال هذا التطور التي عرفته الخطابة بتنوع موضوعاتها وتعدد أغراضها فقد كانت: «تتبع حاجات الأمة وأحوالها وشؤونها والضرورة الدافعة إلى القول الخطابي.»[2]

اتسعت مجالات الخطابة الأمر الذي ساهم في تفوقها على بقية الأجناس الأدبية الأخرى ، كونها خرجت إلى الاهتمام بشتى الأمور الاجتماعية والتي: «تفرد بمواقف خاصة به كالوفادة على الملوك وكالنصح والإرشاد ، وخطبهم في الإملاك والزواج مشهورة»[3]

ازدهرت الخطابة في العصر الأموي وهذا راجع لعدّة عوامل أسهمت في ذلك ، وهيأت لها الأسباب على اختلافها منها السياسية والدينية والاجتماعية: «أما من حيث السياسة فقد كثرت الأحزاب السياسية المعارضة لبني لأمية وكثر مشعلو الفتن والحروب الداخلية»[4]

إذ أن ازدهار الخطابة في هذا العصر يرجع إلى: «سبب عقلي مردّه إلى عناصر الثقافات الأجنبية التي أخذ يدعم بها العقل العربي منذ العصر الأموي ، مما فتق فيها قوة الجدل والحجاج.»[5] ؛ فاختلاط العرب بالعجم في العصر الأموي كان له تأثيرا كبيرا على السليقة العربية ، فظهر على إثره اللحن في القول ، وكان للعربي تأثره الكبير بالثقافات الغربية التي توسعت في البلاد العربية.

إنّ ارتباط فن الخطابة بالحِجاج هدفه تحقيق وظيفتي الإقناع والاستمالة ، والتأثير في الجمهور المتلقي ، ما يجعل من الخطيب يعمد إلى توظيف جملة من الآليات اللغوية الحجاجية التي تدعم خطابه وتمكنه من تحقيق الغاية منه ، واستمالة عواطف الجمهور

المتلقي إما من خلال الأخذ بفكرة ما بعينها أو دحضها والتجاوز عنها ، والتي جعلت من الخطيب أن يقف على جملة من العناصر الفنية الحجاجية التي من شأنها أن تحقق فائدتها البلاغية الإقناعية.

وقع اختيارنا في الدراسة على الخطبة السياسية كعينة تاريخية بارزة في الدرس الخطابي (للحجاج بن يوسف الثقفي) كون خطبته قائمة على الإقناع والحجاج ، من خلال دعوته إلى تأييده والخضوع إلى سلطته و جبروته ، وتقديم فروض الطاعة والولاء على الرعية ، وكان كثيرا ما يزاوج بين الترغيب والترهيب يقول شوقي ضيف في هذا الصدد: « وقد يشيرون إلى مقتل عثمان وأنّ الأمويين أولياء دمه وورثه خلافته ، ولهم مواعظ لا نشك في أنهم قالوها في صلاة الجمعة والعيدين ، ككثير مما روي عن زياد والحجاج»[6] ؛ وهذا للكشف عن الجوانب اللغوية البلاغية والتقنيات الحجاجية التي عمد الخطيب إلى توظيفها من أجل تحقيق فعالية الإقناع ، وحمل الرعية على اعتناق نهجه وأسلوبه ، وقد اعتمدنا في ذلك على نظريات الحجاج اللغوي الحديث ، لتقصّي مختلف الآليات اللغوية ، والغاية من الحجاج في الخطبة.

2. الإطار المفاهيمي للحجاج:

1.2 الحجاج من الناحية اللغوية:

يعرفه ابن منظور في لسان العرب بقوله: «والحُجة: البرهان ، وقيل الحُجّة ما دُوفعَ به الخَصم قال: الأزهري " الحُجّة الوَجْه الذي يكون به الظَفَر عندَ الخُصومَة ، وهو رجل مِحْجَاج أي جدِل. والتحاجُ التخَاصُم. وجمع الحُجَّة حُجَجْ ، وحِجَاجْ ، وحَاجّهُ محَاجةً ، وحجاج نازَعهُ الحجّة وحَجّهُ حَجّا ، أي غلبه على حُجّته ، وفي الحديث: فَحجَّ آدمُ موسَى أي غلبهُ بالحُجة. والحجّة الدليل والبرهان يقال حَاجَجته فأنا محاجٌّ وحَجيج فَعِيل بمعنى فاعل ، ومنه حديث معاوية:" فجلعت أحُجُّ خَصمِي أي أغلبهُ بالحُجَّة.»[7]

كما يقول (الجرجاني): «الحجةُ ما دلَّ به على صحة الدعوى ، وقيل الحجةُ والدليل واحد»[8] ، فالحجاج عند اللغويين هو الدليلُ والحُجّة والبرهان ويخرج إلى الجدل في مواضع أخرى.

2.2 من الناحية الاصطلاحية:

يعرّف (بيرلمان Perelman) الحجاج من خلال مؤلفاته النظرية في النظرية الحجاجية وبالتحديد في مؤلفه المشترك مع (تيتكاهTyteca) مصنف في الحجاج ، الذي ظهر لأول مرة تحت عنوان: البلاغة الجديدة la nouvel rhétorique وقد اعتمد أصحاب" نظرية الحجاج " في مسارهم المنهجي على عدة روافد: «وقد أدى بهم مسارهم المنهجي ذلك إلى المطابقة بين الحجاج والبلاغة منطلقين من فكرة أن كل خطاب يسعى لتدعيم وضع ما أو تغيير آخر أو اتخاذ موقف تجاه قضية ما ، وأن كل تلك الخيارات لا بد لها أن تتأسس على خطط حجاجية مقصود بها المخاطبون.»[9]

كما يعرفه (أبو بكر العزاوي) بقوله: «إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة ، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب ، بعبارة أخرى يتمثل الحجاج في انجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية ، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها.»[10]

3. مفهوم الخطابة:

3.1 الخطابة لغةً:

جاء في لسان العرب لابن منظور أنَّ: «الخُطبة مصدر الخطيب ، وخَطَبَ الخَاطِبُ علا المنبر ، واختَطَبَ يَخطِبُ خَطَابَةً واسم الكلام: الخُطْبَة قال أبو منصور: والذي قال الليث ، إن الخطبة مصدرُ الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد ، وهو أن الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر الجوهري: خطبتُ على المنبر خُطْبَةً بالضّم ، وخَطبتُ المرأةَ خِطبَةً بالكسرْ ، واخْتَطبَ فيهمَا ، قال ثعلبْ: خطب على القوم خطبة فجعلها مصدرا ، وذهب أبو اسحاق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع. وجمع الخطيب خطباء وخطب بالضّم خطَابَةً بالفتح صار خطيبًا. »[11]

2.3 الخطابة اصطلاحًا:

يعرفها (الشريف الجرجاني) بقوله أنها: «قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعله الخطباء والوعاظ»[12]

ويعرفها (محمد أحمد الحوفي) وقد حدّد لها أسسا ترتكز عليها في قوله: «فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته ، فلابدّ من مشافهة ، وإلا كانت كتابة أو شعرًا مدوّنًا ، ولابد من جمهور يستمع ، وإلا كان الكلام حديثا أو وصية ، ولابد من الإقناع ، ذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين.. ثم لابد من الاستمالة ، والمراد بها أن يبهج الخطيب نفوس سامعيه أو يهدئها.. وإذا فأسس الخطابة: مشافهة وجمهور ، وإقناع ، واستمالة.»[13]

ترتكز الخطابة إذن في تحقيق مقصديتها على حمل المتلقين (الجمهور) على الإقناع والتأثير ، بما أنّ النصوص الخطابية تشتمل على جملة من الحجج والبراهين الإقناعية ، والتي تتنوع بين أسلوب الخطيب ، والجوانب الفنية للنص الخطَابي ، والأدوات اللغوية الحجاجية التي تتوفر عليها اللغة ، وهذا ما يجعل من الخطاب له الأثر البليغ في إيصال فحوى الرسالة ومضمون النص.

ومنه فقد ازدهرت الخطابة العربية بتوظيفها للحجج و البراهين ، ومن أبرز ما ارتكزت عليه الخطابة العربية في هذا السياق ، الاستشهاد بالقرآن الكريم وجعله سمة بارزة لدى الخطباء ، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلّم ، وأقوال المشاهير من أصحاب اللغة والفقه والحكماء ، وتوظيفهم للشعر العربي الذي يمثل جودة فنية وصورة بليغة الأثر ، كما كانت للأساليب الخطابية الدور الأساسي في ازدهار الخطابة العربية ، من دورها في التأثير واستمالة المتلقي ، وقد عملت على دقة التعبير ، ووضوح الفكرة ، ومراعاة مقتضى الحال ، وتوظيف الصور البيانية والبلاغية ، ومن وجوه النص الخطابي نذكر[14] :

1- **التقسيم**: هو استخراج الحجة من جميع ما ابتدأ به الخطيب ، حتى لا يدع للسامع أي مجال للتأويل أو الفهم الخاطئ.
2- **الإطالة والاختصار**: إذ كانت بلاغة النص الخطابي قد ارتبطت بالاختصار ، فإنّ علماء البلاغة يرون أنّ المقام هو الذي يتحكم في استعمال الإطالة أو الاختصار.

3- **التصوير**: وهو التعبير الذي يعتمد على استعمال التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو الكناية.

4- **الإقناع**: وهو استعمال الأوزان والأسجاع وغيرها من الأوجه البيانية التي اتسمت بها الخطابة العربية.

4. مقاربة حجاجية وبلاغية في خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي.

نص الخطبة:

وخطب لمّا قدم البصرة بتهدد أهل العراق ويتوعدهم فقال:

" أيها الناس ، من أعياه داؤه ، فعِندي دواؤه ، ومن استطالَ أجلَه ، عليَّ أنْ أعجّلهُ ، ومن ثقُل عليهِ رأسه ، وضعتُ عنه ثقله ، ومن استطَال ماضي عُمره ، قصرتُ عليه باقيه ، إنّ للشيطان طيفًا ، وللسلطان سيفًا ، فمن سُقمت سريرتهُ ، صحت عقوبتهُ ، ومن وضعهُ ذنبهُ رفعهُ صَلبهُ ، ومنْ لمْ تسعهُ العافية ، لم تضق عنهُ الهلكة ، ومن سبقتهُ بادرةُ فمِهِ ، سبقَ بدنهُ بسفكِ دمهِ ، إني أنذرُ ثم لا أُنظِرُ ، وأحذّرُ ثم لا أعذرُ ، وأتوعدُ ثمّ لا أعفو ، إنما أفسدكم ترنيقُ وُلاتِكم ، ومن استرخَى لَبَبُهُ ، ساءَ أدبهُ ، إنَّ الحزم والعزم سلبَانِي سوطي ، أبدلاني بهِ سيفي ، فمقبضتهُ بيدي ، ونجادهُ في عنقِي وذُبابهُ قلادةٌ لمن عصاني ، والله لا آمرُ أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد ، فيخرجُ من الباب الذي يليه إلا ضربتُ عنقهّ "[15]

1. الآليات البلاغية في الخطبة:

تحتل البلاغة مكانة أساسية في الحجاج وتعتبر آلياتها من الآليات الحجاجية التي وظفها العرب القدامى لضرورتها الحتمية في إقناع المتلقي واستمالته ، وتتمثل هذه الآليات في الصور البيانية والمحسنات البديعية.

1.1 التشبيه: يقول: (حافظ اسماعيل علوي): «والتشبيه هو عقد الصلة بين صورتين ، لتمكن المخاطب من الاحتجاج وبيان حججه»[16]

(إن للشيطان طيفًا ، وللسلطان سيفًا)؛ يشبه الحجاج الشيطان بالطيفْ ، مما يوحي له بأنه خطير وخفي ودائم الحضور ، بينما يشبه السلطان بالسيف مما يعكس صورته القوية

وسيطرته التامة على زمام السلطة ، فمن خلال هذا التشبيه يبرز العلاقة بين السلطة والخطر ، ويحذر من المخاطر التي قد تنجم عن التهاون ، مما يؤثر في الرعية من خلال خلقه شعور التحذير والوعيد ، وقد وظف هذا التشبيه للتأثير على الرعية وتقريبهم من صورة السلطة.

2.1 حجاجية الاستعارة:

يقول (حافظ اسماعيل علوي) في هذا الصدد بقوله: «يتجلى البعد التداولي للاستعارة في أنّها عملية ذهنية قوامها التقريب بين موضوعين من أجل التأثير والإقناع ، انطلاقا من إثارة انتباه المتلقي إلى ما تحققه من غرابة وانحراف عن العادي والمألوف ، فالاستعارة حجاجيا راجعة إلى أصل واحد أن يعدل عن (ب) التي هي معلومة جديدة إلى (أ) والتي هي معلومة قديمة إذا كانت (ب) تمثل إجمالا حكما هو موضوع اعتراض بطريقة أو بأخرى»[17]

وتعدُّ الاستعارة من أهم الصور البيانية التي اعتمدها الحجّاج بين يوسف الثقفي لتقوية الخطاب وحمل المتلقي (الجمهور) بقوة التأثير والإقناع ، تضمنت الخطبة مجموعة من الاستعارات وظفها ببراعة لتحقيق أهدافه الحجاجية ، سنقوم بتحديد هذه الحجج التي تضمنتها الاستعارات وكيف ساهمت في تحقيق النتائج المرجوة ومن أبرز الاستعارات التي وردت في الخطبة نذكر ما يلي:

1. الحجة بالقوة والسلطة.

(إنّ للشيطان طيفًا ، وللسلطان سيفًا)

نوعها: استعارة مكنية.

الحجة: يقارن الحجّاج سلطانه بالسيف الحاد والذي عمد من خلالها على تبرير استخدام القوة والعنف ، فالسيف هنا أداة سيطرة والقضاء على معارضيه من الرعية.

النتيجة: تخويف الرعيّة وإقناعهم أنّ الخروج عن أوامره يستدعي العقاب والتي تعبر عن الصراع بين الخير والشر ، حيث يشبه الشيطان ب "الفتنة " و" السلطان" ب " قوة السيف "

2. الحجة بالعقاب:

(فمن سقمت سريرته ، صحتْ عقوبته)

نوعها: استعارة مكنية.

الحجة: يربط الحجّاج بين ارتكاب الذنب والعقاب الذي يترتب على ذلك ، ويصور العقاب وكأنه أمر حتمي لا مفر منه.

النتيجة: الدفع بالرعيّة إلى الامتثال لأوامره والخضوع لسلطانه خوفا من العقاب ، فمن خلال تكراره ، والتصعيد في لهجة العقاب يزرع جوًا من الخوف والقلق المستمر في نفوس الرعية وبذلك حقق الغاية الحجاجية من هذه الاستعارة.

3. الحجة بالقدرة على التنفيذ:

(فمقبضهُ بِيدي ، ونجادهُ في عنقِي وذُبابهُ قلادةٌ لمن عصاني)

نوعها: استعارة مكنية.

الحجة: يؤكد الحجّاج على أنّهُ على أتمِ الاستعداد لتنفيذ تهديداته وأنّ له القدرة على ذلك.

النتيجة: يثبت الحجاج من خلال هذه الاستعارة صوّر السلطان الذي له القوة ولا يقبل أي شكل من أشكال الخروج عن أوامره وسلطانه ، من خلال وصفه للسيف وكأنهُ حيوان مفترس يزيد من حدة التهديد ويقنع الرعية بأنه جاد في نواياه وتهديداته.

(ومن وضعهُ ذنبهُ رفعهُ صَلبهُ)

نوعها: استعارة مكنية.

الحجة: من ارتكب ذنبا

النتيجة: يستوجب العقاب على ذلك ، من خلال قوله " رفعه صلبه" أي تعذيبه وإعدامه.

2.2 المنهج الحجاجي في الاستعارات:

1- **الاستدلال:** لا يستخدم الحجّاج في هذه الخطبة استدلالا منطقيا ، بقدر جنوحه إلى الاستدلال العاطفي ، فقد لجأ إلى توظيف العواطف مثل: الخوف والرهبة والتهديد وهذا للتأثير في نفوس الرعية وحملهم على الإقناع والتأثير فيهم.

2- **التعميم:** عمد الحجّاج إلى التخويف والتهديد المباشر بشكل كبير وهذا لتحقيق غرضه الأساسي لسياسته وهي فرض السيطرة التامة على الرعية.

3- **التبسيط:** يحول الحجّاج الأفكار المعقدة إلى أسلوب بسيط في صور مباشرة ، الذي يمكن الرعية من استيعابها وفهمها بسهولة.

4- **السيطرة:** يهدف الحجّاج من خلال توظيفه لهذه الاستعارات إلى تحقيق سيطرته المطلقة على الرعيّة ، من خلال إخضاعهم ترهيبهم بأساليب متعددة من التخويف والوعيد.

5- **تثبيت السلطة:** يؤكد الحّجاج من خلال هذه الاستعارات على قوة سلطانه ، والتي ساهمت في تثبيته للحكم.

6- **تبرير الأفعال:** عمد الحجّاج إلى استخدام الاستعارات في خطبته لتبرير أفعاله المشينة والعنيفة ، وجعلها مبررة ومقبولة.

تعتبر الاستعارات التي وظفها الحجاج في خطبته أداة قوية وفاعلة للتأثير في نفوس الرعية ، والتي أراد من خلالها تحقيق أهدافه السياسية ، فهي تعمل على مستويين (العاطفة والعقل) حيث يتبين لنا كيف عملت هذه الاستعارات على قوة الخطاب الحجاجي في تشكيل الرأي العام ، وتوجيه سلوك الرعية ، كما أنها ساهمت في تحقيق الأهداف الحجاجية بشكل فعّال ، وقد تمكن الحجّاج من التأثير على عواطف الرعيّة وتخويفهم والتأثير عليهم وإقناعهم بالخضوع لسلطانه.

7- **التفريع:** تقسيم الكل إلى أجزاء: يقول عبد الهادي بن ظافر الشهري: «وهو أن يذكر المرسل حجته كليا في أول الأمر ثم يعود إلى تفنيدها ، وتعدد أجزائها إذا كانت ذات أجزاء ، وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية ، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه»[18]

ومن الأمثلة التي وردت في نص الخطبة نذكر ما يلي:

(من أعياه داؤه ، فعِندي دواؤه ، ومن استطالَ أجلَه ، عليَّ أنْ أعجّلهُ ، ومن ثقُل عليهِ رأسه ، وضعتُ عنه ثقله ، ومن استطَال ماضي عُمره ، قصرتُ عليه باقيه.)

نلحظ من خلال هذا المقطع أنّ الحجّاج قسّم حالات الرعية التي بدأها بالنداء بقوله: (أيها الناس) بصيغة الجمع ، وبعدها قسّم حالات الناس إلى فئاتِ كل فئة على حدَى ، في صور

ضدّية وهذا حفاظا على حجته الرئيسية والتي أضمرها في سياق القول ، وأظهر من خلالها هذه الفئات أنّ بيده الحل لكل فئة وهذا ما يعزز من قدرته الحجاجية في الخطبة.

4. حجاجية الكناية:

يعرفها (الجرجاني) بقوله: «والمراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورفدهُ في الوجود ، فيؤمن بيه إليه ويجعله دليلا عليه»[19]

ومن أمثلة الكناية في الخطبة نجد:

(إنّ للشيطان طيفًا)

الكناية في هذا المثال (كيدُ) كون الشيطان يترصد في ديمومة ، وهذا ما يعكس تأثيراته السلبية التي قد تحيط بالإنسان ، وقد استخدم الخطيب كلمة (الطّيف) وهي ما يشير إلى أن الطيف يتماهى ولا يرى ، هذا ما دلالة على المكائد التي يمكن أن تصيب الرعية دون أن يدركوا ذلك.

ومن هذا تبرز حجاجية الكناية ، التي هي أبلغ من حيث التأثير من القول الصريح ، لما لها من وقع في النفس وذات فعالية كبيرة في إثبات المعنى وتقريبه للمتلقي.

5. الحجاج بعلم البديع:

أكد الكثير من الباحثين أن المحسنات البديعية يمكن لها تأدية وظيفة حجاجية: «إنّ محسنا لهوَ حجاجي إذا كان استعماله ، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر ، يبدو معتادًا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة ، وعلى العكس من ذلك ، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب ، فإنّ المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة ، أي باعتباره مُحسِنَ أسلوب ، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع.»[20]

6. حجاجية السجع:

يعدّ السجع من أبرز الظواهر التي تشتمل عليها الخطب العربية ، فقد كان عندهم فطرة وسليقة ، وقد اشتهر به العرب منذ الجاهلية ويعّرف أنهُ: «تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد والأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر»[21]

ومن أمثلة السجع في خطبة الحجّاج:

(من أعياه داؤه ، فعِندي دواؤه ، ومن استطالَ أجلَه ، عليَّ أنْ أعجّلهُ ، ومن تقُل عليهِ رأسه ، وضعتُ عنه ثقله ، ومن استطَال ماضي عُمره)

- (إنّ للشيطان طيفًا ، وللسلطان سيفًا)
- (فمن سُقمت سريرتهُ ، صحت عقوبتهُ)
- (ومن وضعهُ ذنبهُ رفعهُ صَلبهُ)
- (ومن سبقتهُ بادرةُ فمِهِ ، سبقَ بدنهُ بسفكِ دمهِ)
- (إني أنذرُ ثم لا أُنظِرُ ، وأحذّرُ ثم لا أعذرُ)
- (ومن استرخَى لَبَبُهُ ، ساءَ أدبهُ)

نلحظ من خلال هذه الأمثلة التي أوردها الخطيب في نص الخطبة والتي ترتكز على بلاغة وجودة الألفاظ ، وسبكها بعضها ببعض ، واكتست الألفاظ حُللا جميلة ، فالجمل المسجُوعة أكسبت الخطبة تشكيلة صوتية ، فيها الكثير من الوعيد والتهديد.

7. الطباق:

- داؤه / دواؤه
- استطَال / قصرّت
- سقمت/ صحّت
- وضعه / رفعه
- تسعهُ / تضق عنه
- العافية / الهلكة
- أنذر / أنظر

- أتوعّدُ / أعفو

نستشف من خلال كثرة توظيف الحجاج للطباق في الخطبة ، يمكن بعده الحجاجي في تزيين الكلام وزخرفته قصد إيصاله بطريقة سهلة إلى الرعية ، والتأثير فيهم ، وبالتالي إقناعهم بما طرحه من أفكار حول سياسته وسلطته ونظام الحكم الذي يريده ، كما يزيد الطباق المعنى أكثر توضيحا وتوكيدًا.

ومما يدل على عناية العرب عموما بآليات البديع ، ووعيهم بدورها الحجاجي ، ما نستشفه من خلال خطبة الحجاج وهو الجمع بين أكثر من شكل بديعي ، وهو السجع والطباق والمقابلة في سياق واحد يقول العزاوي في هذا الصدد: «نعتبر الصورة البلاغية ذات قيمة حجاجية ، إذا أحدثت تغييرا في الرؤية ، وكذلك إذا بدا استعمالها طبيعيا في ذلك الموقف».[22]

وهذا ما جاء في نص الخطبة:

(أيها الناس ، من أعياه داؤه ، فعِندي دواؤه ، ومن استطالَ أجلَه ، عليَّ أنْ أعجّلهُ ، ومن ثقُل عليهِ رأسه ، وضعتُ عنه ثقله ، ومن استطَال ماضي عُمره ، قصرتُ عليه باقيه ، إنّ للشيطان طيفًا ، وللسلطان سيفًا ، فمن سُقمت سريرتهُ ، صحت عقوبتهُ ، ومن وضعهُ ذنبهُ رفعهُ صَلبهُ.)

نستشف من خلال هذا المقطع أنّ الحجاج استعمل الطباق في جمل متتالية ، كما استعمل السجع في امتداد خطابه الأفقي ، أسهم هذا التنوع وتوظيف الآليات اللغوية المتعددة تسهم في بناء الخطاب حجاجيا ، بما يتوافق مع السياق ، فاختار الحجّاج ما يفي بقصده ويحقق هدفه الإقناعي.

8. المقابلة:

تعدُ المقابلة وجها من أوجه البديع كما تتشابه كثيرا مع الطباق ، فالاختلاف يظهر في كون المقابلة أوسع شأنا من الطباق ، فهي تقوم على التضاد بين الجمل ، فقد عرّفها (أبو هلال العسكري) بقوله: «إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى أو اللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة.»[23]

ومن أمثلة المقابلة في الخطبة:

- إنّي أنذرُ ثم لا أُنظِرُ ، وأحذّرُ ثم لا أعذرُ.
- إنّ للشيطان طيفًا ، وللسلطَانِ سيفًا.
- منْ سقُمت سريرتهُ ، صحّت عقوبته.
- منْ لم تسَعهُ العافية ، لم تضق عنه الهلكة.

فالمتأمل لطبيعة المقابلات التي أوردها الحجّاج في الخطبة يجد أنّ المعنى يزداد وضوحًا والتصور يكون أدقُ ، وبذلك تُدركُ أهمية المقابلة في إيصال المعنى للمتلقي بشكل موجز وبصورة واضحة ، ومن خلال هذا تكمن القيمة الحجاجية للمقابلة في الخطاب ، وهي من الأدوات التي استعملها الحجّاج ليؤكد للرّعية على قدرته وقوة سلطته والتمسك بقراراته وتطبيقها إنْ رأى خلاف ما يريد.

9. خاتمة:

في ختام ورقتنا البحثية حاولنا الكشف عن أهم تمثلات بلاغة الخطاب الحجاجي في خطبة الحجّاج بن يوسف الثقفي بالبصرة لنقف عند جملة من النتائج أهمها:

- الوقوف عند أهم الآليات الحجاجية والبلاغية الواردة في الخطبة وقد ركزنا على الآليات البلاغية.
- تأكد لنا أنّ خطبة الحجاج بن يوسف تزخر بالآليات بلاغية حجاجية ، أسهمت بشكل كبير في فعاليتها في التأثير في الرعية ، وهذا دليل على ارتباط البلاغة بالحجاج ، ودورها الفعّال في عملية الإقناع من خلال (علم المعاني ، والبيان والبديع).
- يعدُّ الحجّاج بن يوسف الثقفي من أبرز خطباء السياسة في العصر الأموي الذين أسهموا في ازدهار الخطابة العربية بشكل عام ، من خلال اتباعه في خُطبه منهجًا أساسه التأثير والإقناع في المتلقيّن (الرعية) وتبيان سياسته التي أقرّ من خلالها وفرض سلطته بالقوة.

- أنه جعل من آليات البيان آليات حجاجية ، يتحقق من خلالها الإقناع والاقتناع وما يترتب عنها في عملية التأثير.
- يتمظهر لنا من خلال تحليل الخطبة أنّ البيان والبديع وكذا علم المعاني ليس مجرد زخرف لفظي للكلام ، وإنما لها وظيفة جوهرية تتمثل في الإقناع وذلك من خلال الجميع بين البلاغة والحجاج ، وبين الخطاب والحجاج ، لتحقيق المقصدية العامة.
- تبين لنا من خلال تحليلنا للخطبة أنّ كل خطاب يستمد حدوده ووظائفه من مرجعية خطابية معينة ، وقد لعبت لغة الحجّاج دورا مهما في حجاجية الخطبة كونها حجاجية بامتياز.
- من خلال ما سبق يمكن القول أنّ خطبة الحجّاج بن يوسف الثقفي بالبصرة ، خطبة تحمل في طياتها خطابا حجاجيا إقناعي.

10. الهوامش والإحالات:

[1] - شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، مصر ، ط9 ، 1947م ، ص28.

[2] - محمد أبو زهرة: الخطابة ، أصولها ، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص124.

[3] - شوقي ضيف ، مرجع نفسه ، ص29

[4] - شوقي ضيف ، مرجع نفسه ، ص63

[5] - شوقي ضيف ، مرجع نفسه ، ص69

[6] - شوقي ضيف ، مرجع نفسه ، ص69.

[7] - ابن منظور: لسان العرب ، مادة (حجج) ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1996م ، ص28.

[8] - الشريف بن علي الجرجاني: التعريفات ، تح ، إبراهيم الأبياري ، دار الريان للتراث ، دط ، دت ، ص482.

[9] - سالم محمد الآمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، ص105

[10] - أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2006م ، ص16.

[11] - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خَطَبَ) ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1996م ، ص90.

[12] - الجرجاني علي بن محمد الشريف: التعريفات ، تح ، محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2000م ، ص104.

[13] - أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د/ط ، د/ت ، ص5.

[14] - عبد الحميد رحموني: الخطابة العربية الاسلامية ، دراسة في المتن والفن ، مطبعة أنفو برانت ، فاس ، 2005م ، ص120 ، 131.

[15] - أحمد زكي صفوت ، جمرة خطب العرب ، ج2 ، العصر الأموي ، مكتبة مصطفى الباني الحلبي ، مصر ، ط1 ، ج2 ، 1933م ، 1352ه ، ص278.

[16] - حافظ اسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1 ، ج1 ، 2001م ، ص139.

[17] - حافظ اسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1 ، ج1 ، 2001م ، ص41.

[18] - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص494.

[19] - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، تح: محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005م ، ص60.

[20] - صابر الحباشة: التداولية والحجاج ، مداخل ونصوص ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2008م ، ص51.

[21] - عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ج4 ،1999م ، ص81.

[22] - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ، ص499.

[23] - أبو هلال العسكري: الصناعتين ، تح: علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، ط2 ، 2000م ، ص.346

11. قائمة المصادر والمراجع:

1- شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، مصر ، ط9 ، 1947م.

2- محمد أبو زهرة: الخطابة ، أصولها ، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب ، دار الفكر العربي ، القاهرة.

3- ابن منظور: لسان العرب ، مادة (حجج) ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1996م.

4- الشريف بن علي الجرجاني: التعريفات ، (تح: إبراهيم الأبياري) ، دار الريان للتراث ، دط ، دت.

5- سالم محمد الآمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر.

6- أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، العمدة في الطبع ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2006م.

7- الجرجاني علي بن محمد الشريف: التعريفات ، (تح: محمد باسل عيون السود) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2000م

8- أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د/ط ، د/ت.

9- عبد الحميد رحموني: الخطابة العربية الإسلامية ، دراسة في المتن والفن ، مطبعة أنفو برانت ، فاس ، 2005م.

10- أحمد زكي صفوت ، جمرة خطب العرب ، العصر الأموي ، مكتبة مصطفى الباني الحلبي ، مصر. ط1 ، ج2 ، 1933م ، 1352ه.

11- حافظ اسماعيل علوي: الحجاج مفهومه ومجالاته ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1 ، ج1 ، 2001م.

12- عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب.

13- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ، (تح: محمد التنجي) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2005م.

14- صابر الحباشة: التداولية والحجاج ، مداخل ونصوص ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2008م.

15- عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ج4 ،1999م.

16- أبو هلال العسكري: الصناعتين ، تح: علي محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، ط2 ، 2000م.